

# ظاهرة الفناء في العمارة العربية التقليدية



## معماري الشهر.....

### حسن فتحى

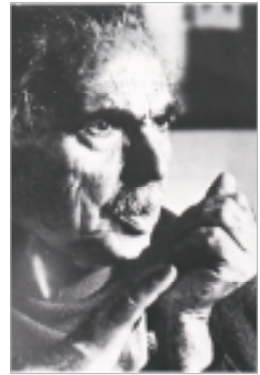
لونارد - القاهرة:

تنامي مع منتصف القرن الأقل تيار بين اوساط المهتمين بالعمارة العربية الاسلامية ما بين معماريين وكتاب ومفكرين وفلاسفة ممن لهم اهتمام بالعمارة العربية الاسلامية، وممن يرى ان بعضا من معماري العالم العربي قد انساق وراء شعارات تنادي بالنظام العالمي الجديد للعمارة على اثر الحربين العالميتين وظهور انماط من العمارة لم يعدها العالم العربي من قبل. وايا كانت بواعت انطلاقا هذا النظام العالمي الجديد للعمارة - الا ان تلك الاسباب لانبعاتها لم تجد الشرعية او القبول لدى انصار هذا التيار المتنامي الذي رأى في النظام المعماري الجديد الذي لا يعترف بمكان وزمان خطرا يهدد اركان العمارة التقليدية ويقوض دعائمها (العمارة المحلية). وينطق انصار هذا التيار عن عدائهم لهذا النظام الدخيل من ادعائهم بان العمارة الاقليمية تعبر عن البيئته التي نشأت منها، فيما يلغي النظام الجديد هوية المكان والزمان وينادي ببعولة العمارة.

ولعل بداية هذه الصيحة يمكن تسجيلها ونسبها الى معماري رائد هو شيخ المعماريين العرب - كما يطلق عليه البعض اذ يعد بحق رائد العمارة العربية المعاصرة - المعمار حسن فتحى. عرف حسن فتحى بشغفه بالعمارة البسيطة التي تعبر عن البيئته التي ولدت بها، بيد انه انطلق من عمارة الاقدمين حيث درس اصولها ومبادئها وطاف بارحاء ملكة الفراغة الممتدة على ضفتي النيل ليستنبط نسب العمارة التي تنسب اليه كاسلوب من قبل تلاميذه. واياها طوفاه ومأمله دارت بخلفه تساؤلات شكلت الاجابة عليها بداية نهضة فكرية معمارة عربية رائدة، وكانت هي الامواج الصوتية الاولى للصيحة الخافتة مدار البحث هنا، فماذا دار بخلفه وما كانت دعائم تلك النهضة المزعومة؟

يعبر حسن فتحى - الذي ولد بالاسكندرية عام ١٩٠٠ لادوين من الطبقة المتوسطة - مرارا وتكرارا من خلال كتاباته عن بدايات اعجابه بالريف منذ طفوله من خلال ما سمعه من والدته ومن اقاصيص حول الريف حتى اضحى الريف كأنه الجنة المقودة حسب تعبيره، غير انه اصابته خيبة أمل عندما شاهد واقع الريف مقارنة بالصورة الحالية التي ارسمتها في مخيلته، وحال تخرجه من مرحلة الدراسة التأسيسية التحق بكلية القاهرة لدراسة العمارة اذ تنامي لديه حبه للريف والطبيعة، تلك كانت البذور الاولى للتأسيس لمدرسة فكرية معمارة، واياها الحرب العالمية الثانية وانهاء ازمته نقص مواد البناء تولدت لديه العديد من التساؤلات حول امكانية البناء اعتمادا على الطبيعة دون اللجوء للسواد المستورد وللعمالة الماهرة باهظة التكاليف، وتساءل: كيف تسنى لقدماء البناء وبخاصة التسقيف دون اللجوء لاستخدام الاخشاب (للطوبار)؟ وهل يمكن بناء قبة او قبة دون الحاجة للطوبار؟ وان كان ذلك كذلك فهل يعني ذلك ان العمارة قد ولدت لتلبي حاجات الفئة القليلة من الامة تاركاً الاغلبية الغالبية تعيش على هامشها؟ هذه كانت بعض التساؤلات الاساسية التي دارت بخلد حسن فتحى واستلكت لمكة (العمارة للفقراء) وان كانت عنواناً لخواطر المعمارية التي كسبها في كتابه الذي حمل نفس الاسم، وتلك كانت اولي الامواج الصوتية للصيحة التي اطلقها حسن فتحى، بيد ان هذه الصيحة تردت اصدواها بين جنبات الوطن العربي وكان انعكاسها قطعاً موحشاً في باءى الامر، ولم تجد قبولا او ترحيباً من

كافة قطاعات المسؤولين والمفكرين والمعماريين، اذ كانت تمثل دعوة جريئة للعمارة البسيطة او للعمارة الفطرية، وهذه كانت ترى كبداية لطريق شاق وشاق طويل من التجربة والخطأ، وتحتمل للكثير من الدعم والتعاون من مختلف القطاعات، يضاف الى ذلك انها كانت في مراحلها التجريبية الاولى وتبدو خيالية التطبيق مع تعقد الحياة وتطورها، وفضلا عن ذلك فقد بدت وكأنها دعوة رجعية لمعمارة (كقابلة الحضارة) ان جازت، هذه الاستعمارة الكفلية،



انها تدعو لنبيذ المعاصر والعودة الى البساطة ما لا يتماشى مع معتقدات العصر الحديث، او رهاها البعض كأنها دعوة لتجميد التاريخ عند حدود ما ابدعه الاقدمون ومحاكمتهم منهجاً وانجاشاً، وواضح بدأ تأثير اند العمارة العالمية التي كانت تمتد تدريجياً الى المنطقة تحت غطاء الحداثة، ومن هنا كان الصراع بين هذين المدينين خلال الثلاثة عقود التي تلت بداية انطلاقا صيحة حسن فتحى.

مع بدايات التسعينيات من القرن الماضي، ظهرت بعض امارات التجاوب والتناغم مع افكار حسن فتحى بين جيل راشد من المعماريين العرب الذين لم ينهجوا تماما نهج حسن فتحى، انما عبروا عن افكاره وتنمائي ونفس المدرسة الفكرية، ابرز هؤلاء المعماريين الذين انتشروا على استاد الوطن العربي كان راسم بدران من الاردن الذي عبر من خلال العطاء الوفير في خلال مشاريعه التي ترى في اكثر من قطر عربي عن قدرات المعاصرة للمحافظة عليها وتنميتها من خلال البيئية الطروحات التي تقف في مواجهة المد العالمي من جهة، وامام تحديات ابداعات الماضي لتعطي بدائل تنسجم بروح المعاصرة ضمن اطار القيم الابداعية المتميزة لدى التأسيس لدراسة معمارة مسئلة متخللة، ابرز عناصرها القدرة على التكيف مع معطيات العصر ومتنجاته واجراء الحوار مع الماضي دون الوقوع تحت اساره او الانبهار به بما يجد من قدرات الابداع والتجديد، ابرز ما يميز عمارة راسم بدران عن حسن فتحى، ان الناتج من عمارة بدران متنوع من حيث الناتج ويمكن كتف تمييز الفكر المعماري المتخصص في عمارة راسم بدران، ولقما يمكن ان ينسب طراز او مفردات خاصة بعينها لعمارة بدران اذ ان راسم بدران ينحو التجديد على الدوام وان كان من ثمة عناصر او مفردات معينة يستخدمها في عمارةه الحضرية فان ذلك مرحليا ولا يعكس تفعوقا او التزاما بما يحدد الحوار التمهيلي بين الماضي والحاضر.

غير ان ذلك ليس هو الحال في عمارة حسن فتحى، اذ ان الناتج وبعد حوالي خمسين سنة من الممارسة والتجربة قد انتهى مجموعة من العناصر والمفردات التي اوضحت ذات خصوصية بالمعماري كطراز واسلوب، ويسهل على من يالفا العمارة العربية تمييز اسلوب حسن فتحى على الفور، وقد تعدى ذلك الامر الى بعض تلاميذه وابرزهم المعماري عبد الواحد الوكيل، ويعتبر الوكيل احد ابرز المعماريين العرب المعاصرين وذلك من خلال منهجيته التي يلبس عليها الطابع الانتقائي الصوري كما يعمد خالد عصفور الى تقته، رغم ما يعكسه اسلوبه من قدرة على استعمال العناصر المعمارية الموروثة سواء من خلال ما اكتسبه من ملازمته لحنن فتحي فترة من الزمن ام من خلال قراءته لعمارة الماليك في القاهرة والقدس، او العمارة في الفترة العثمانية، ويمتاز عبد الواحد الوكيل رغم اسلوبه الانتقائي الصوري التشكيلي بالدقة والمهارة في استعمال المفردات الموروثة دون تشويهها او الاخلال بنسبها بل على العكس فانه يؤثر الايجاب بما يتميز به من قدرة فائقة على استعمال العناصر المعمارية المختلفة ضمن اطار معاصر باستعمال مواد تشابهيية متنوعة وضمن توزيعات فراغية مبتكرة، ورغم انه قد انطلق من خبرته بأسلوب حسن فتحى الا انه يمكن رؤيته لا كامتداد لحسن فتحى بل كخط آخر في طريق الاجتهاد ضمن اطار المعاصرة على الرغم مما يتبره اسلوبه من نقد وجدل باعتباره احيانا نقلا حرفيا لبعض او لكل اجزاء المباني التقليدية، ورغم ما في اسلوبه من اثاره للنقاش الا انه يعد واحدا من ابرز المعماريين العرب المعاصرين. وهكذا فإن الطريق الشاق الطويل الذي اسس له حسن فتحى قد حدا العديد من المعماريين المعاصرين لوقوف وفقه تأمل وشكك أفكار المعماري الراحل حسن فتحى دعائم النهضة الفكرية المعمارية للقرن العشرين، والتي تنامت منذذ لتتمخض عنها تيار فكري معماري معاصر.



اغلبها الخصوصية البصرية لاهل الدار، وهناك عناصر وحيوية فراغية اخرى متصلة اتصالا مباشرا بالفناء مثل (التختوش) وهو حيز فراغي على الدور الارضي في الجهة الخلفية يؤدي وظائف اجتماعية وقد اشتق اسمه ايضا من وظيفته اذ يعكس الخصوصية البصرية والاجتماعية للحالين بذلك الحيز الفراغي يمان من غارات الدخلاء او الفراغ المفاجئة او مما يقطع صنفو الجسمة، ويتصل بجداره الخلفي بحديقة خلفية كما ترى في بيت السحيمي بالقاهرة مثلا. ولا تبقى اهمية الاتصال الفراغي بين الفناء المكشوف وبين التختوش المغلبي المتصل بالحديقة في جريان نسيه هوائى عليل في الصيف، وبخاصة مع توفر مسحة من غطاء نباتي بين قوائين الفيزياء المتعامل مع قوة او عنصر ما بمعزل عن المحيط، وبذا تتساءل: ما بال معماري العالم العربي المعاصرين اذ يعمد احدهم الى استعمارة احد العناصر من (المنظومة المعمارية المتحركة) ضمن المباني التقليدية والصحافة (شكليا) في البيئية المبنيية المعاصرة؟ اليس الدروس والعبر التي تسبق شاخصها في الموروث من البيئية العمرانية التقليدية مندوحة عن هذه الاستعمارات البترية؟

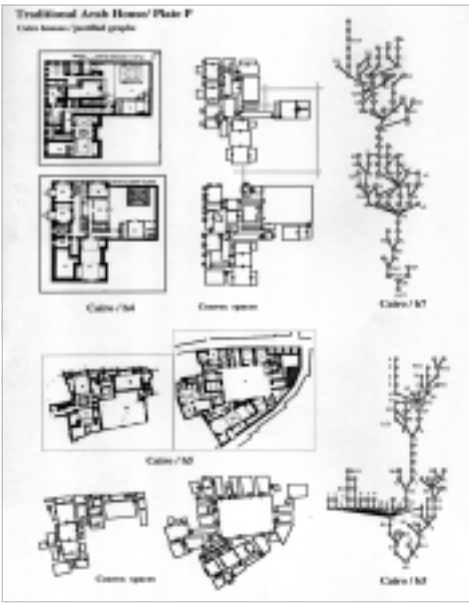


اما العنصر الآخر فهو: (الدرقاعة) ويلحق بها (الشخشيخة) وهي التسقيف الفراغي الذي يعلو القاعة الداخلية التي عادة ما تكون على طابقين. والشخشيخة تسمح بدخول الهواء النور الى فراغ القاعة من ناحية، كما تسمح بالتحكم بدخول او خروج الهواء تبعا لفكرة فرق الضغط بين مناطق الظل والنور بالبيت، وبذا تؤدي لدى اتصالها فراغيا مع الفناء الى تحريك الهواء داخل البيت وتلطيف درجات الحرارة العالية التي غالبا ما سادت البيئية التقليدية، كما تتصل احيانا بتغير فتراسم ناثل هو ملقف الهواء كما يعرف في مدن شمال افريقيا (او الباجير في دول افريقيا) والتي تؤدي وظائف اخرى

## من اخبار العمارة العالمية

# منظومة الحيز الفراغي Space Syntax أحدث نظرية في بريطانيا لقراءة وتحليل الحيز الفراغي الحضري

الخارجي او الفترة التي تم البناء فيها. وهناك ابتعاخ اخرى لاستقصاء دور الفناء في البيت العربي من قبل الباحثة (ريم زكو) بجامعة لندن، وفي نفس الاطار تم اسقاط النظرية على بيوت من ثقافات اخرى كالبرازيل، وانجلترا وغيرها، واجرى د. وليد السيد بحسه حول اشكالية الاسالة والمعاصرة في العمارة العربية كطائر عام، مع تصنيف نطاق البحث بدراسة وتحليل ٨٨ بيئا تراثيا في خمسة مدن عربية (القاهرة، بغداد، تونس، صنعاء، والسلط بالاردن) مع المقارنة بعشرين بيئا معماريين معاصرين (حسن فتحى وراسم بدران) باستخدام نظرية (منظومة الحيز الفراغي) Space Syntax كادى منهجيات البحث والتحليل.



من الثقافات المختلفة، فعلى مستوى الابحاث العلمية والاكاديمية، فقد قام العديد من الباحثين لتليل درجات العمارة العربية المعاصرين هناك (Norman Foster) مع (Space Syntax Labora-) لدراسة الظواهر الحضرية وحول ابرز مشاكل المدن المتدهمة والمكتظة بالازدحام والجريمة ضمن

هذه النظرية في نظريات في علم الاجتماع والبيئة بافتراض ان الفراغ المعماري Spcae Syntax هي نظرية تعنى بفهم وفراءة وتحليل الفراغ المعماري والحضري، وقد طورها البروفيسور (Bill Hillier) خريج جامعة كامبريدج، والذي يجري ابحاثه حاليا مع مجموعة من زملائه بجامعة لندن (Bartlett School of Architecture) منذ منتصف التسعينيات، وتعتمد هذه النظرية على إعادة قراء الفراغ المعماري والحضرية بناء على مفاهيم ومعادلات وحسابات رياضية بتحويل العلاقات الفراغية الى علاقات رياضية تاخذ بعين الاعتبار موقع الفراغ بالنسبة للمنظومة الفراغية ككل ضمن الفراغ المعماري الواحد او ضمن الشبيخ الحضري للمدينة. وتستخدم هذه النظرية اصولها من مبادئ منطقية في تمثيل الفراغات ضمن منظومة

لحليل ومعالجة مشكلات الحيز الفراغي الحضري، وتتميز النظرية كما ذكر انها تترع الى العلمية الموضوعية من جهة، والتحليلية والاستنباطية من جهة اخرى اكثر منها الى السردية الوصفية او التجريبية الاحوائية الشخصية، بيد انها نظرية تظل خاضعة للاخذ والرد، الا ان سمة المقارنتية في منهجية البحث التي تطرحها تمنحها ميزة ايجابية، ان المقارنة بين عنصرين باستخدام ذات الآلة يكشف اووجه التشابه والاختلاف بين العنصرين بمعزل عن ماهية الآلة ذاتها، علما بان آفاق النظرية ما تزال واسعة وتكثف باب مفتوح للبحث والتحري في الثقافات المختلفة وضمن معطيات الحضارة ذاتها.

وهو ما تعانى منه معظم النظريات المعمارية والتصميم الحضري التي تعالج مفهوم (الحيز الفراغي في العمارة). وفي معرض التطرق لمدخلات واطروحات النظرية عالميا، فقد جرى اول مؤتمر عالمي عام ١٩٩٧ بلندن، تناول ابرز الابحاث العالمية التي تستخدم هذه النظرية في تطبيقاتها المعمارية والحضرية، كما تلاه مؤتمر ثان عام ١٩٩٩ في البرازيل، والمؤثر الثالث عقد مؤخرى في امريكا في الفترة (٨-١١/٥/٢٠٠١)، ويجري عقد مؤتمر دوري كل سنتين في دولة مختلفة حيث تلاقي النظرية وتطبيقاتها صدى عالميا واسعا، وقد أعلن ان المؤتمر الرابع سيكون في لندن مرة اخرى عام ٢٠٠٢.

## كانت مدينة لندن من اولى المدن العالمية التي تم تحليلها باستخدام الكمبيوتر

وهو ما تعانى منه معظم النظريات المعمارية والتصميم الحضري التي تعالج مفهوم (الحيز الفراغي في العمارة). وفي معرض التطرق لمدخلات واطروحات النظرية عالميا، فقد جرى اول مؤتمر عالمي عام ١٩٩٧ بلندن، تناول ابرز الابحاث العالمية التي تستخدم هذه النظرية في تطبيقاتها المعمارية والحضرية، كما تلاه مؤتمر ثان عام ١٩٩٩ في البرازيل، والمؤثر الثالث عقد مؤخرى في امريكا في الفترة (٨-١١/٥/٢٠٠١)، ويجري عقد مؤتمر دوري كل سنتين في دولة مختلفة حيث تلاقي النظرية وتطبيقاتها صدى عالميا واسعا، وقد أعلن ان المؤتمر الرابع سيكون في لندن مرة اخرى عام ٢٠٠٢. وقد تم تطوير النظرية منذ عام ١٩٧٦، حيث كانت المعادلات الشبهية (البيت آلة للعيش فيها) - الذي يشرح نظرية (منظومة الحيز الفراغي) باسمها، حيث يكشف الاسس المنطقية التي تستند اليها النظرية، بالإضافة الى تطبيقاتها الممكنة على البيئية المبنيية ضمن الاطار الاجتماعي والثقافي، وتستخدم



## من اخبار العمارة محليا وعربيا وعالميا: المعرض العالمي للعمارة EXPO 2000 بألمانيا لوناورد - هانوفر

وحضارتها وتاريخها معماريا وذلك ضمن مساحة قليلة مخصصة لكل دولة مساهمة ضمن المعرض. وتجدر كل دولة هذا المعرض فرصة عالمية لعرض افكارها ومشروعاتها وعمرانها من خلال افكارها مبدعة تمتص عنها افكار اللجنة المسؤولة المصممة، والتي غالبا ما يقود فريقها احد المعماريين اللامين في ذلك البلد. وغالبا ما يعمد المعماري الى ترك آثار انطباعية للزائر للجنح الخاص ببتك الدولة، من خلال المواد المستعملة التي تعكس البيئية المحلية وطبيعة مناخها، او من خلال رسالة بصرية فعالة يجتهد المعماري المصمم لتركها. ولا يخفى دور المعرض كسفير عالمي لنقل رسالة حضارية عبر العالم في نقل صورة مشرقة عن البلد من جهة، اضافة الى تشجيع وتنشيط السياحة مما يدعم اقتصاد ذلك البلد ويساهم في التواصل والاتصال مع مختلف الجنسيات ودول العالم الاخرى.

الفراغية الى برامج كحسبويتيم